مجلة التفاني
Majallat Al-Tafani

رمزية رثاء المكان عند شعراء الأندلس : دراسة تحليلية

د : فاطمة صالح على سعيد

ليبيا - جامعة غريان - كلية الأداب والعلوم - الشقيقة - لغة عربية

أم كلثوم عبد الجليل بشير

ليبيا - جامعة غريان - كلية التربية – مزدة – لغة عربية

0930067057

Farmtabwlqasm355@gmail.com

ملخص

خلصت الدراسة الى أن المكان عنصرا أساسيا في الشعر الأندلسي , حيث يرمز الى الحنين والشوق الى الوطن , ويعتبر رمزا للذاكرة والتاريخ , الرموز المكانية في الشعر الأندلسي , تعبر عن المشاعر والأفكار وتضيف بعدا جديدا الى فهم الشعر الأندلسي , والأماكن هي الرموز الحقيقية التي يستطيع الشعراء إعطائها طابعا حسيا وفضاء معبرا عن ماحدث في الأندلس , ونجد في رؤى وأفكار وتوجهات الشعراء والكتاب , لحظات الفقد والشوق الى الوطن المفقود , وتصوره بسلسلة من الأحداث تحمل في طياتها وجع وألم وأسى , لفقدانه والحنين اليه , كما أن الترابط بين البنية السياسية والدينية , يظهر جليا في كثير من الاعمال الشعرية , ومن ثم توظيف الشعر للدين والحديث الشريف , في رثاء المدن الأندلسية عند سقوطها في أيدي الصليبين ويردون ذلك الى الذنوب والإنشغال في الدنيا عن الدين

Abstract

The Study concluded that place is a dundamental element in Andalusian poetry,Where it symbolizes longing and yearning dor the homeland ,and is considered a symbol od memory and history,the spatial symbols in Andalusian poetry express emotions and ideas and add a newdimension to understanding Andalusian poetry,and places are the real symbols that poets can give a sensory character and aspace that expresses what happened in Andalusia,wedind in the visions,ideas,and orientations of poets and writers moments of loss longing for the host homeland,and depict it with a series of events that carry within them the pain andsorrow of losing it and the longing for it,the interconnection between the political and religious structure is evident in many poetic works hence ,poets employed religion in lamenting the Andalusian cities when they faii to the Crusaders,attributing it to sins and being preoccupied with worldly life instead of religion .

استلام الورقة: 2025-08-20 - قبول الورقة: 2025-08-27 - نشر الورقة: 2025-09-02

كلمات مفتاحية:

المقدمة

تجئ الأمكنة مرات عديدة مفاتيح لمظهر سردي وانتقالات فعلية للشخصية الرئيسية (السارد) وتبرز في المكان حركة لتصوره; كما انه مكان نفسي يتبادل التأثير مع المكان الحقيقي ويقوي آثاره في منحى درامي وجريان ذهني ، فالبعد الشعري الذي يمتلكه المكان قديم قدم الشعر نفسه ويبدو تأثيره في النص الشعري ; بمدى قدرته على التوظيف الجمالي الذي يقترن ببنية المكان ، كما إن تصويره يرتبط أحيانا بسبب يتعلق بالسرد وتعاقب احداثه; ليخلق تأثيرا أو يكتسب معنى يصل إلى جوهر النص ويوصف المكان كاديكور مألوف في العنصر الإنساني ، فالمكان يعطي النص قيمته الحية التي قد تصل إلى أقصى درجات الانفعال ; فتستفز الحواس ويثيرها بما تفصح عن دلالات وقيم تختلف من حيث الإتساعوالإنتفاع أو الضيق والإنغلاق وتقريب علاقات الشخوص ;أو تباعدهم .ومن خلال ما تقدم جاءت هذه الدراسة السردية للمكان في موقع جغرافي يمثل تصوير أحداث حقيقية صادرة من عمق الرثاء للمدن والاماكن الاندلسية , وهو مايستند اليه البحث في مقاربته لشعرية المدينة , يعد سقوط المدن في الأندلس في القرن الخامس الهجري من أهم الظواهر التي وقف عندها الشعر الأندلسي مسجلا هذا الحدث التاريخي المهم ولكثرة مانظم شعراء الأندلس في رثاء مدنهم ودولتهم , والوقوف عند غدر الأيام بها وبهم , صار ذلك فنا شعريا قائما بذاته في أدبهم .

الدرسات السابقة

- تنوعت الدرسات والكتب حول الأندلس ومنها
- دراسة بعنوان أجمل ماقاله شعراء الأندلس في رثاء المدن , للكاتب أحمد الحمصي , 2024م
- دراسة حول سقوط المدينة في الشعر الأندلسي , في القرن الخامس عشر للكاتب بشير أعبيد ,2013 م .
- شرح ديوان الشاعر أبو البقاء الرندي " لكل شئإذغمائم نقصان "
- كتاب نفاضة الجراب في علالة الإغتراب ' لسان الدين الخطيب , 713- 776هجري

1- المبحث الاول : منهجية البحث

1-1- مشكلة الدراسة

1- دراسة كيفية استخدام شعراء الأندلس للرموز المكانية قي رثاء مدنهم وبلادهم , مثل إستخدامهم لمدن الاندلس كرمز للحضارة والثقافة الإسلامية .

2- بحث كيفية توظيف الشعراء للدين في رثاء المدن الأندلسية , وكيف أستخدموا الأيات القرانية والأحاديث النبوية الشريفة في تعزيز مضامينهم

3- دراسة تأثير الحضارة الاسلامية في الأندلس على شعر الرثاء , وكيف عبر الشعراء عن مشاعر الفقد والحزن لضياع المدن الأندلسية . مثل الطباق والجناس والاستعارة

4- دراسة كيفية تأثير الأحداث التاريخية , مثل سقوط الأندلس , على شعر الرثاء , وكيف عبر الشعراء عن مشاعرهم تجاه هذه الأحداث .

1- 2 - أهداف الدراسة :

1. الوقوف على الأسس الجميلة للسرد في دراسة المكان .

2 اضهار الدلالات النظرية للسرد في دراسة عنصر قديم بنظريات تحليلية حديثة ، كما سنرى من خلال اعادة قراة رثاء الأماكن في العصر الأندلسي .

1- 3 - أهمية الدراسة

- تساعد الدراسة في فهم كيفية استخدام الشعراء للاماكن كرموز في رثاءهم , وما الدلالات التقافية والاجتماعية لهذه الرموز .
- تقدم الدراسة تحليلا عميقا للغة الشعراء الاندلسيين قي الرثاء , وتكشف عن تقنياتهم الأدبية والبلاغية

تسلط الدراسة الضوء على السياق التاريخي والثقافي الذي كتب فيه الشعراء الاندلسيون , وتوضح تأثير هذا السياق على اعمالهم .

- تساهم الدراسة في إثراء الدراسات الادبية العربية , خاصة في مجال الشعر الأندلسي .

1 - 4 - منهجية الدراسة

بالمنهج التحليلي الأدبي بواسطة تحليل النصوص الشعرية بحيث تم دراسة قصائد الرثاء للاندلسيين , وتحليل رمزية المكان فيها .

تحليل المضمون العاطفي والفكري للنصوص , وعلاقة المكان بالحزن والفقد .

دراسة تأثيرات الثقافة الاندلسية على الشعر والشعراء في تلك الفترة .

2- المبحث الثاني – الأطار النظري

1.2- مفهوم الرموز المكانية في الأدب الأندلسي :

" إن مجموع الأمكنة يمكن أن يطلق عليها فضاء ،لأنها أشمل معنى للمكان الذي يضمه القضاء وهو يلف الأمكنة التي تجري فيها الاحداث ويتحرك فيها الحوار والرثاء; كما أن للمكان ارتباطا مع خيط السرد " 1 فالمشاهدة الجزئية منه تستوقف انتباه النص خلال رؤية شخصية ذاتية ترتبط بالطفولة مثلا أو مرابع الهوى واللعب وشريط الذكريات بين الماضي والواقع والحاضر; الذي يجسد المشاهد التي تضفي على النص تداخلا بين عنصري الزمان والمكان وبين عنصري الوصف والسرد اذ إن الوصف ساكن لا يتحرك والسرد يدخل فيه الحركة ، وبذلك يكون المكان ليس إشارات عابرة إلى موقع جغرافي بل هو سيرورة غنية الدلالات في استنطاق المكان وما يتبعه من عوامل التداعي; مما يحرك قريحة الشاعر في الرثاء ورسم لوحة حزينة عما كان في هذا المكان ، كما في قول الشاعر الأندلسي ابن حزم وهو يرثي قرطبة :

بك على قرطبة الزين فقد دهتها نظرة العين
أنظرها الدهر بإسلافه ثم تقاضى جملة الدين
كانت على الغاية من حسنها وعيشها المستعذب اللين
فانعكس الأمر فما إن ترى بها سرورا بين أثنين
فاغد وودعها وسر سالما إن كنت أزمعت على البين 2

من خلال الأبيات السابقة يقف الشاعر وقفة حزينة في طلول أحبته التي أصبحت خاوية لا يجد فيها من يسأله عما حل بها وبأهلها ;وعلى الرغم من علمه بما حل بها ، لكنه قصد من وراء ذلك إظهار الذهول الذي أصابه عند مشاهدته لمدينته المدمره ، فجاء شعره في صورة سردية مؤثرة تظهر فعل الزمان الذي طرقت خطوبه المدينة فتغيرت أحوالها من الإزدهار إلى الإنبهار ، كما اظهر الشاعر في سرده للأحداث وجع الفراق بين أهل قرطبة ليرسم إطارا سرديا حزينا من خلال الأكثار من البكاء والآلم .

1- جمالبات المكان . عثمان , 1980, ص15

2- في الأدب الأندلسي , الداية , 2000, ص158

2.2– أهمية المكان في الشعر الأندلسي

وقد كانت بعض الامكنة في نصوص الشعر الجاهلي مادة أساسية ومنها الاطلال وما تثيره من ذكريات التي تتحول إلى مسرح متنقل يصنع عالمه الخاص;ومثابات لقاءات الاحبة وغالبا ما ترد في لوحات جزءية ,ضمن المقدمات الطلالية التي يكون فيها المكان عنصرا ملهما متكيفا مع السرد " ويعين على آداء المعنى وهو يستل من ذاكرة يوقضها النص بقدرته على نحو عضوي تتابع فيه الانعكاسات والاستنطاق في ثنائية القرب والبعد وغالبا ما يلتحم الراوي والصورة السردية التي يمنحها المكان بين الحركة ويوحي بذكريات ; وأسرار لها فاعليتها في التشكيل الشعري لحركة السرد والتأملات الذهنية التي يحسها المتلقي بهواجس عميقة إزاء المكان,

حسب ما يملك النص من مهارات تصويرية تمنح المشاهدة الشعرية غني وحالات وجدانية تختزن مؤثراتها الشديدة الايجاز بالأحداث التي يوقظها النص وبأتساع المخزون الدلالي للمكان في النص، كما إن فعل الثأثير الذي يعكسه المكان ينتظم في صورة ذهنية تركز أنتباهنا إلى مرئيات تحصل بعناصر موحية ;وتحقق أرتباط بالمكان بفعل التعايش الذي يبلور قيمة فنية في النص وبخاصيات سيمائية تكشف عن بعد ذاتي شأنه إن يظهر مهيمنات مكانية مرتبطة بعلاقات زمنية ; والمخيلة الشعرية تعمل غالبا في تشكيل الانساق المكانية كمعدلات موضوعية لحركة الخيال الشعري , والبنية للمكان والبؤرة الاستقطابية التي يدور حولها السرد ليتلاحق ويتمحور حوله " 1 ويدل ذلك على أن الاماكن تتفتح على النص السردي وينفح عليها بما يحمل من رموز يحتمي بها وبما يصوغ أستنطاقها داخل النص الشعري الذي يتفاعل وملامح المكان;وإيحاءته وإنما يثري شعريته النص التشكيلي المكاني معتمد الخيوط السردية التي ترمزله بفاعلية تسيطر على اهتمام النص بشكل واضح . ونلتمس ذلك في قول الشاعرأبنخفاجه ' الذي يقول:

عاثت بساحتك العدى يادار ومحا محاسنك البلى والنار

فأدا تردد في جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقادفت الخطوب بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدار

كتبت يدا الحدثان في عرصاتها لاأنت أنت ولا الديار ديار2

أستطاع ابن خفاجه من خلال هذه الأبيات استنطاق النص , حيث اعطى لمعاني الكلمات طابع حسي ، فهي تمحو المحاسن بالنار والبلى ، وبدل أن تلد الجمال كان نتيجة المخاض خراب ، في شكل دمار ارتسم على عرصات القصور وهي منحنية في خشوع وسكون ; حتى أنها لا تكاد تعرف . فلا أنت أنت ولا الديار ديار . وهو يقف مفجوع حزين بساحة مدينته التي ذهبت محاسنها

1- جماليات المكان , عثمان , 1980 , ص1

2- ديوان أبن خفاجة , ث , الطباع , ص121

" كما يشكل الفضاء (المكان) مكونًا من مكونات البنية السردية ليحظ بالاهتمام والدراسة كماحظيت بقية مكونات البنية ، وقد يبدو من باب المفارقة الحديث عن فضاء في الأدب،إذيبدوأن العمل الأدبي يتحقق زمنيًا في المقام الأول، ذلك أن عملية القراءة التي يتحقق بواسطتها الوجود الفعلي للنص المكتوب ، إن ماتتكون من مجموعة لحظات تتوالى في ديمومتنا لذلك يلزم القارئ أن يكون قادرًاعلى تصور وجود فضاء نصي مغاير للفضاء المرجعي في معناه الضيق ;الذي يبدو فيه الأثرالأدبيمقتصراًعلىاستنساخهأولوهلة ، بيد أن استعمال الفضاء يتعدى مجرد الإشارة إلى مكان من الأمكنة،إن الفضاء يخلق نظاماً داخل النص مهما ; بدا في الغالب انعكاساً صادقا لخارج النص الذييدعى تصويره، بمعنى أن دراسة الفضاء ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالآثارالتشخيصية"1

"وفي النص يغدوالفضاء بمعناه الأدبي , هوالمجلسوهوالمكان الذي تتم فيه العملية السردية،،ومن المعروف أن أحاديث المجالس أُدخلت في نوع أدبي أطلق عليه أدب المجالس;فالمجالس تختلف في نوعيتها،إذهناك مجالس للعامة وأخرى للخاصة،ومجالس تصنَّف بحسب غاياتها، فمنها مجالس تختص بالجد، وأخرى تختص بالهزل،ومجالس يختلط فيها الجد بالهزل،ولكلٍ ملامحه الخاصة التي تميزه.فالمجلس بما يستوعب من يتكلم بكفاءة كلامية،ويستمعين بذو قدرةعلى التميز بين أصناف الكلام،فالمجلسمحفّزأساسي لطبع الكلام العربي بسماته الخاصة والمتميزة،ومنها المجالس الليلية التي يجتمع فيها،السمارللإستماعالأخباروالحكايات كألف ليلة وليلة " 2

"وربما كان المجلس هنا فضاء أشبه بوعاء مغلق يحد من حركة الشخصيات إلا أن هذ االفضاء ينهض بوظيفة رمزية ،بوصفه إطاراً مكانياً .يحتوي العملية السردية في صورتها الأولى،أي الصورة الشفاهية التي تتألف من الراوي وحكايته والمتلقي،والذي تحول بعد التدوين إلى فضاء تتشكل فيهم محاكاة أوتمثيل لكل من الراوي وحكايته والمتلقي الضمني، "1

كما تتبدى رمزيته في كونه مجلس الوزير أو أحد ملوك المغرب أوالأندلس ،أي مجلس السلطة التي تفرض على روادهإيقاعهاالخاص،ومراعاة مقتضى الحال،إذ لكل مقام مقال،كما أكد النقاد العرب ،وما يتطلبه الموقف في المجلس من تخصيص لطبيعة القول بما يناسب المتلقين.

" وربما تخرج فكرة الاماكن من كونها تعبيراًعن حدثٍ حقيقي تاريخي إلى كونها مكوناًأساسياً في لعبة تخيلية بارعة; يمزج فيها بين المجلس و الحدث بعيد عن الرثاء أحيانا ،ويركب النص من هذين المكونين،بوصفهما إطار أمكانياً وزمانياً متخيل لما ينتجه السرد،يضم الأحداث والشخصيات المختلفة "

1- الفضاء الروائي , جينيت. 2002 ص20
2-الكلام والخبر ,يقطين, 1997 , ص 214

ونجد ذلك بوضوح عند الشاعر لسان الدين الخطيب الأندلسي فهو يضع إشارات قليلة عند دخوله مكانا ما أووصفه له;منها ماكان في الأندلس بلده الأول ومنها ما كان في المغرب ،إذ تقتضي البداية في أيةحكاية تحديد أللمكان والزمان حيث يجري الحدث .

وقد استعمل لسان الدين بن الخطيب المنهج الوصفي للاماكن الجغرافية التي زارها ، وجعل هذا الوصف مدخلا لكتابه التاريخ ، حيث كان لسان الدين بن الخطيب كثير التنقل والترحال في مدن الأندلس والمغرب ووصف جبل (هنتاته) وصفا دقيقا ; والمكان الذي توفي فيه السلطان الشهيد أبو الحسن المريني بعد أن ثار عليه ابنه أبو عنان فارس وقال : "في يوم الاثنين المتصل بيوم القدوم توجهنا إلى الجبل في كنف أصحابه تحت إغراء بره وفي مركب قرة عينه ، فخرجنا نستقبل بين يديه السهل ونساير الجهة ، ونشاهد الآثار ونتخطى المعاهد ، ونستنشق النسيم العليل القريب العهد بمادة الثلج وعنصر البرد ، ولما بلغنا درج الجبل ، وانتحينا طريقه من السفح وهي تركب ضفة الوادي الملتف بعادي شجرة الحور والطرفاء وشجرة الخلاف والدردار وامعنا وكابدنا عنتا في اقتحام الوادي ذي الجريه الكثيرة الصبب ، المسوقة المد العظمة التيار المجهولة المخاض وتقتحم منه ازرق شفافا عن الحصباء كثيرة الجلباب ، املس الصفاح ، لداع البرد ، عبرناه نحو من ثلاثين مرة في أماكن يتخللها الدوح ويعظم الربيع وتخضر الحرباء وتسموا جانبها الجبال الشم والشعبات التي نزل بها العصم ....." 1

ووصف مدينة (اغمات) وصفا جغرافيا دقيقا ويتكلم عن محاسنها وعن مسجدها ومأذنته المخروطية الشكل وبساتينها وجناتها ; وقال " ثم أتينا مدينة اغمات في بسيط سهل موطأ لا نشر فيه ينال جميعه السقي الرغد وتركبه الخلجان وقد تموج به العشب ..... وهذه المدينة قد اختطت في الفضاء الافيح ، فبلغت الغابة من رحب الساحة وانفساح القورة ، مثلت قصبتها منها قبلة ، وسورها محمر الترب ، سجح الجلدة مندمل الخندق يخترقها واديان اثنان من ذوب الثلج وسؤر الجبل ..... ومسجدها عتيق عادي كبير الساحة ، رحيب الكنف متجدد الألقاب ومأذنته لا نظير لها في معمورة الأرض و بأزاءها المسجد ، بينه وبين النهر المار بإزائه قبة عظيمة القبو ، فخمة البنية ، ترقص فيها فوارة خرقاء في خصة من الحجر الادكن مشطوفة الباطن رحيبة القطر ; وللسلطان بهذه المدينة دور حافلة تدل على هم ومعالي امم ، واحتفال عوالم درجوا . وأمم قد ركلها العفا وجذب معاطفها الخراب ، فما شئت من خشب منقوشة وأطم مرقومة وبداخل هذه المدينة بساتين وجنات ....."1

وقال عن قبر المعتمد بن عباد :" وزرت قبر المعتمد على الله ابي القاسم محمد بن عباد، امير حمص ، "وقرطبة والجزيرة وما الى دلك الصقع الغربي رحمه الله وهو بالمقبرة القبلية عن يسار الخارج من البلاد قد توفل ، نشزا غير سام والى جانبه قبر الحرة حظينة وسكن نفسه اعتماد اشراكنا لأسمها في حروف لقبها ، المنسوبة الى رقيك مولاها ....."1

1- ينظر المجلسيات والمقامات , ابوذيب , 1996 ص 212
2 - نفاضة الجراب في علالة الأغتراب , ابن الخطيب , ت . 1998 ص 45 , 46

كما قدم وصفا لمدينة " مكناسة الزيتون" واصفا مدارسها وصحة هوائها وفواكهها وقال " واظلت مدينة مكناسة في مظهر النجد رافلة في حلل الروح مبتسمة في شنب ساقلها على اجمل المراى وقد احكم وضعا الدي اخرج المرعى قيد البصر فنزلنا بها منزلا لا تستطيع العين ان تخلفه حسنا ووضحا ، من بلد دارت به المجاشر المعلقة والتفت بسوره الزياتين المفيدة ، وراق بخارجه السلطان المستخلص الدي يسمو اليه الطرف ورحب ساحة والتفاف شجرة ونباهة بينه واشراف ربوة المياه العدبة .... وبداخلها ثلاث مدارس لبث العلم ، كلف بها الملوك الجلة الهمم التنجيد ، فجاءت فائقة الحسن ما شئت من ابواب نحاسية وبرك فياضة تقدف منها صافي الماء اعناق اسدية ، وفيها خزائن الكتب ، والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين وتفضل هده المدينة كثيرا من لداتها بصحة الهواء وتبحر اصناف الفواكه..."1

" إن الدلالة التي تمنحها كلمة مكان بوصفها علامة أوإشارةدالة، وتبدوهيئة ناطقة تستثمرفي بناء النظام السردي،وتستكملأركانه،إذ كونت حضوراًواضحاً في ذهن المتلقي،ومركزأينطلق منه النسيج السردي.لكن الفضاء الأشمل هوالفضاء الذي تكونه اللغة السردية،إن فضائية اللغة منظوراً إليها داخل نظامها الضمني الذي هو نظام اللسان المتحكم في كل فعل كلامي، ويوجهه تبدو لناجلية في الأعمال الأدبية ، بل ومبرزة في صنع الكتابة , فالقيمة الدلالية السياقية يفرزها المقام الذي يحيط بالنص من مكان وزمان وشخوص، وكيفية عرض الخطا بنوعيه، بما يطلق عليه السمات السياقية التي تحيط بالنص،وتحدد الوظيفة التي يؤديها السياق سواءأكانت تلك التي تتولد من القرائن اللغوية الموجودة في النفس أم التي تتولد من القرائن غير اللغوية التي تحيط بالنص مشكلة ما يسمى" ديناميكية السياق " اللغوي وفوق اللغوي "2 وتحمل لغة النص فضاء يتنامى فيه التخيل،إنها ترسل إشارات الصلات الحميمة،التي بدأ ت عن تنشأ بين الاماكن و الاحداث وبين لسان الدين بن الخطيب ،وتصورالانسجام الذي أخذ خطاً تدريجياً تنامت فيه تلك الصلات،وجعلته يمتد حتي نفض ابن الخطيب آخر ما في الجراب ، وقد أغنى عقولنا و أمتع قلوبنا بجميل الكلم والتعابير ، المرسومة في قالب أدبيا ضمنه جل الاحداث التي جرت ما بين فترة بقاءه في الأندلس إلى ان انتقل إلى ملاذه الاخير بالمغرب جعل الله كل ما خط وذكر في ميزان حسناته... كما لا يفوتنا الوقوف هنا عندعنصري الزمان والمكان على حد سوا في عملية إخضاع الشفاهي إلى الكتابي وتحويل الزمن الحكائي إلى زمن سردي ماهوالحقيقيوماهوالمتخيل؟ أين تبدأ الحقيقة وأين ينتهي الخيال؟وإنعاكس كل ذلك على مجريات الرثاء الخاص بالأماكن والمدن ؟

1- نفاضة الجراب في علالة الأغتراب , ابن الخطيب , ت . 1998 ص 45, 46
2- الفضاء الروائي ,جينيت , 2002 -, ص13

"إن الكلام الذي يخرج عن النسق الفكري الواحد، ويخضع للعفوية بعيداًعن عملية الاختياروالانتقاء والاستبدال والتحويرالتيتتضمنهاعمليةالكتابة،وصولها لحالتها النهائية التي هي عليها الآن، كان نتيجة تحويلات عدة من بناء غير ثابت، يلقى على البديهة إلى نسق مكتوب بعد قراءات واختزال معلومات تحولت إلى رؤية وأسلوب،ثم إلى حكي شفوي احتكم إلى شروط المسامرة والأسئلة والعامل الزمني ثم تحويله االى كتابة في تلك الصيغة"1

وامتازلسان الدين في حديثه وتدوينه للأحداث بذاكرة قوية لاتدع شيئاً،ولوبدا تافه أوجزئياً،مادامت له دلالة خاصة ، تسهم في تأسيس الموضوع المعروض،وحافظة قوية زاخرة بالأقوال المنسوبة إلى أصحابها سواء أكانت شعراً أم نثراً، ومتصرفة متصلة بكل مايخرج عن الحافظة والذاكرة ، ظهرت من خلال التعليقات والأقوال.هذه المصادرالأساسية الثلاثة أبرزت شخصية المثقف في القرن الرابع الهجري،وما يستوعبه منذ خيرة معرفية تتسع لمختلف المعارف،بينت بوضوح ، لكن الأهم هو توظيف هذه الطاقات في المجلس،فهذا يساعد على تقديم وجهات نظرثرية ومركزة، وإن بدت جزئية أو مبثوثة في غيرموضع،فهي قابلة للقياس،بعيدة عن الاعتباطية، نذكر منها إيراد الأحداث التاريخية التي لها إسقاطاتها المباشرة على الواقع والمساس بقضايا اجتماعية حساسة كحياة الطبقات الاجتماعية وطرق عيشها ،أوالتبرم السلطوي من اهتمامات الشعب أونقد بعض الممارسات السلطوية تجاه الطبقة المثقفة ،أو الإلماح إلى مواطن الدهاء السياسي فيحل المشكلات إن الرؤية التي تنطلق من المجلس هي رؤية مرتهنة بعدة أسس متسقة مع طبيعة المكان وروادة،إذ تُؤسس البنية الأخلاقية المعرفية وتعالج قيماً عليا في إطارمنظم، ووفق معاييرجمالية وأدبية، وتخلق التوازن في إطار شكلي محكم .

1- خطاب الحكاية , جينيت , , 2002 . ص 108

3 3- توظيف الشعراء للدين والحديث الشريف في رثاء المدن الاندلسية

عندما بداء سقوط المدن والحصون الأندلسية في يد الصليبين , فكانت البداية في مدينة بربشتر في شمال الأندلس , التي دخله الصليبيون عنوة وتعرض أهلها لأهوال الذبح والأسر , كان حاكم المدينة قد قسمها بين أولاده الخمسة قبل موته , وبعدها نشبت بينهم الخلافات وأخذ كل منهم يحاول الأستلاء على ملك الآخر , تابعهم الصليبيون النورمانديونوأغتنموا إحدى الفرص للاستلاء على المدينة , وأستطاعوا دخولها عنوة وإستباحتها وقتل من فيها حتى قدر عدد القتلى والأسرى بين 40 الف و100 الف , وقتل من أهلها 600 ذبحا , وراح الجنود ينهبونها ويحتلون دورها , عزا ابن العسال مألأم بالمدينة الى ذنوب المسلمين فقال :

لولا ذنوب المسلمين وأنهم ركبوا الكبائر مالهن خفاء

ماكان ينصر للنصارى فارس أبدا عليهم فالذنوب الداء

فشرارهم لا يختفون بشرهم وصلاح منتحلي الصلاح رياء 1

وهناك العديد من الآيات القرانية التي تحدثت عن سقوط المدن وزوالها حيث يعتبر سقوط المدن نتيجة طبيعية , للفساد والظلم والكفر , عندما ينتشر الفساد في المدينة , فأن الله تعالى يرسل العذاب عليه , وعندما يظلم الناس بعضهم البعض , فأن الله تعالى يرسل العذاب عليهم , وعندما يكفر الناس بربهم يرسل عليهم العذاب وكذلك الابتعاد عن الدين ونتيجة سقوط المدن هو الدمار والموت وفقدان الأمان .

قال تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) سورة القصص أية 58

قال تعالى(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)

سورة الإسراء أية 16

هناك عدة أحاديث من السنة النبوية عن سقوط المدن ومنها :

" إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له , وإذا أراد الله بقوم خيرا فلا مرد له " صحيح البخاري , كتاب التفسير , باب سورة الأنعام

– " إذا سمعتم بالمدن قد خربت فاعلموا أن ذلك من عذاب الله " صحيح مسلم , كتاب الفتن , باب سقوط المدن .

– إن الله تعالى هو الذي يقرر سقوط ودمارالمدن , وإنه لايمكن لأحد أن يمنع ذلك أن سقوط ودمار المدن هو عذاب الله تعالى , وأن يكون بسبب ذنوب ومعاصي الناس.

1– أجمل ماقيل في رثاء الاندلس , الحمصي ,2025 , ص 12

3- المبحث الثالث :

1.3- النزعة الإيديولوجية للمكان في شعر أدباء الاندلس

تعرف الأيديولوجية بأنها " جل الأفكارالأحكام والاعتقادات الخاصة بمجتمع ما في لحظة ما في مكان ما "8 فهي علم الأفكار المرتبط بجماعة أو مجتمع ;في مرحلة زمنية محددة، لذا فهي" 1 رؤية جزئية للعالم، تظهر في سياق ثقافي فكري. "1 فالعمل الأدبي لايرتبط بالإيديولوجية عن طريق مايقوله،بل من خلال مالايقوله، وانعكاس كل ذلك في المكان والموقع الذي احتوى هذا النتاج الادبي فنحن عندما لانشعر بوجود الأيديولوجيا،نبحث عنها من خلال جوانها ; لصامتة الكامنة التي تنساق في الآثارالأدبية عن طريق مؤلفهاعادةً أو في فجوات النص وأبعاده الغائبة" 3 "وقد يطغى أكثر من موقف أيديولوجي يمثل حالات التنوع الموجودة في مجتمع ما، مما يؤدي إلى تعدد الأصوات ،إذ توجد عدة منظورات داخل النص ، وهذايتيح لنا التبصر بالواقع الاجتماعي الذي انطلق منه النص والمكان الذي حدث فيه "3 لكن الكاتب ينزع أيديولوجياً السفكر مهيمن على خطابه ،مهما تعددت التوجهات،وهذه الهيمنة تظهر في" حوار الشخصيات وانحياز مركز الثقل الحواري باتجاه هذاا لنزوع ،بل إن الهيمنة الأيديولوجية يمكن أن تتجلى من خلال الأثرالكلي للخطاب ,

والخطاب الأيديولوجي الكامن في النص يلعب دوراً مهماً و مؤثراً في المتلقي، فهو في حقيقته توجه سياسيأودينيأوأخلاقيأ وأدبي ،يتجاوز حد القصد إلى حد الإقناع ،لذا فإنها تختلف عن وجهة النظر بأنه اتقدم نفسها بوصفها رؤية بديلة ووحيدة، وخاصة تلك الرؤية الأيديولوجية أحادية الرؤية التي تختصرتعددية الحياة،أي تعددية أصواتها التي تختزل في صوت واحد، هوصوت المؤلف وتوجهه الأيديولوجي المهيمن "ومن خلال الأطلاع على محتويات الأدب الأندلسي نجد أن الأيدلوجية فيه تدور جلها حول فكرة - لحظات في كنف وطن ثم فقدانه - بصورة تسلسلية تحمل في طياتها وجع والم وآسى كما في قول الشاعر الاندلسي أبوالبقاءالرندي

1-بلاغة الخطاب وعلم النص , فضل ,1992 , ص 104
2-المصدر نفسه ص 103.
3- –خطاب الحكاية , جينيث , ص 101 ,201

لكل شيء إذا ما تم نقصان ..... فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الامور اذا شاهدتها دول .... من سره زمن سأته أزمان

إلى أن يقول :

وللحوادث سلوان يهونها .... وما لما حل بالاسلام سلوان

دهى الجزيرة امر لا عزاء له .... هوى له احد وانهد ثهلان

اصابها العين في الاسلام فامتحنت .... حتى خلت منه اقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية .... واين شاطبة ام اين جيان

واين قرطبة دار العلوم فكم ..... من عالم قد سما فيها له شان

واين حمص وما تحويه من نزه .....ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن اركان البلاد فما .... عسى البقاء اذا لم تبق اركان

تبكي الحنيفة البيضاء من أسف .... كما بكى لفراق الالف هيمان 1

وقد تكون هناك أيديولوجيا حاكمة ومسيطرة على البنية الثقافية لمجتمع ما، ففي نظرة شاملة لبنية الإبداع العربي وموقعه ضمن الثقافة العربية ; يتبين لنا أن العملية الإبداعية لم تنفصل عن البنية السياسية أوالدينية ،فثمة ترابط ملحوظ بين البنيتين ،هنا كسلطة ما سواء أكانت سياسية أو مدينية ، توجه حركة الإبداع، وتحدد مساره ،وتسعى إلى الحفاظ على ثبات مؤسساتها وتنزع نزوعاً شمولياً إلى ترسيخ أيديولوجيتها ورؤيتها للعالم، تعضدها في ذلك سلطة دينية تهيمن على التفكير والنظر والتأويل ،وهذا مايجعل النصوص العربية فيمجملها مشروطة بمستلزمات البنيتين، فنلمح فيها خطاباً، يحرص على التناغم أوالحوار معهما ، ويمكن القول "إن الأيديولوجيا تتمفصل داخل النص السردي وفق نمطين مختلفين في الوجود،وكل تمفصل يؤدي إلى تجلٍ خاص،يفرض قواعد بنائه وصيغه وأدواته،فهو إما تجلٍ صريح لأيديولوجية معينة ضمن نسق أخلاقيأ وقيمي محدد ،عندها يتحول النص السردي المتن القصصي بصفة خاصة إلى ذريعة ،لشرح جوهر وأهداف وغايات هذه الايديولوجية،ويتحول النص إلى إخراج سردي لمقولة أيديولوجية سابقة في الوجود على هذا النص،وإماتحقق لبنية دلالية صغرى، لاتمتلك ،ظاهرياً على الأقل،أي مضمون أيديولوجي سابق على تحققها في سياق خاص كثنائيات الخير /الشر،والحرية/ العبودية،وهو في هذه الحالة لايبتعدعن الأيديولوجيا ،ولايتبرأمنها،ولكنه يقدمها في ثوبيخاط و ينسج لحظة بناء النص السردي نفسه "[ii]

1 –في الأدب الاندلسي , داية , ص 360

فأاحاسيس ابو البقاء الرندي تنبثق عن أيديولوجيا خارج النص ، تتمثل في الوعي الفردي السابق على الحكاية وتأثير ذلك الوعي في النص;إنها خبرة فردية مرتبطة بالتكوين الثقافي والبيئي في ذلك الوقت ،وليست خبرةً طارئة ،جاءت في لحظة وقوع الحدث ،وهذا مادفعنا إلى أن ننظر إلى الأيديولوجيا في النص بوصفها نزعةً أوميلاً مسبقاً كان في حياة الشعراء والكتاب في ذلك الوقت ;والحدث هوالذي استدعى تلك الأيديولوجية،وماتقوم عليه من أسس،كانت تدخل في ثنايا النص .حيث نجد أن الأيديولوجيا في الأدب الأندلسي، مرتبطة بالتدرج الزمني للاحداث في ذلك الوقت ، الذي يفرض نفسه على مجريات الدراسة، مما يشكل تصورا للقاري يجعله يرسم فترة زمنية سردية ذهنية حولا الظروف التي كتبت فيها هذه القصائد التي تحوي على طابع الرثاء. و ينتج عنه افقا مكانيا و زمنيا تمثل كل حلقة من حلقاته حدثا سرديا صغيراً، يكتسب سمته الخاصةا لتي تمتاز بطابع الاختياروالانتقاء للموضوعات التي تشكل بنية الحدث، ويمكن أن نعتبرهذاالاخيرنظاماً متشعباً من الحوارات التي تمنح الفعل السردي إمكانية البناءوالتشكيل اللغوي للأحداث،

فبعد أن كانت الأندلس بلاد أسلامية وتحمل طابع أسلامي اصبحت هذه أسماء تختفي تدرجيا مخلفة وراءها صور وعادات لمجتمع له طابع دينا مغاير تماما .

: الخاتمة

لقد أضاءت هذه الدراسة بعض جوانب التفاعل النصي بين الأدب الأندلسي في جانب رثاء الأماكن وبين الدراسة التحليلية الحديثة في السرد،إذأظهرالتفاعل النصي الذاتي ملامح الخطاب العام عند شعراء الأندلس،ووحدة الفكروالرؤى في كثيرمن الأحيان،لاسيما في توجههم العام في أغلب مؤلفاتهم ،كما أظهرالتفاعل النصي الخارجي اختراق،التفاعل النصي الداخلي من حيث الحوارالتفاعلي بين الأحداث خاصة و الأندلس عامة، نقلاً وتسجيلاً منجهة أوإبداعاً وتحويلاً من جهة أخرى. وما جعل ذلك الأمر يصل إلى هذه الدرجة من الأبداع هو أن فن رثاء الأماكن من الفنون الشعرية الجميلة الذي يجمع ما بين روعة الخيال ، وعمق العاطفة وحرارة المشاعر ممزوجة بجلال الحقيقة وصدق الواقع وكل ذلك يتحول من خلال السرد إلى لوحة فنية شجية تنطبع في نفس القارئ أو السامع .رمزية المكان عند شعراء الأندلس كانت تعكس حبهم الشديد للوطن والطبيعة , وتعبيرا عن الحنين الى الأوطان التي فقدوها , الأندلس كانت رمزا للوطن والملاد الآمن , وكانت تمثل الحضارة والثقافة الإسلامية , قرطبة رمزا للعاصمة الثقافية والسياسية للأندلس وكانت تمثل مركزا للعلم والفنون غرناطة رمزا للملك والسلطة ,حيث كانت تمثل أخر معاقل المسلمين في الأندلس الطبيعة رمزا للجمال والصفاء , كانت تمثل مصدر للإلهام والشعر ' الرياض رمزا للجنة والسعادة وتمثل مكانا للراحة والإسترخاء

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التوصيات

1-إجراء دراسات أعمق حول رمزية المكان قي الشعر الأندلسي مع التركيز على مختلف الجوانب الثقافية والتاريخية

2-توسيع نطاق الدراسة ليشمل شعراء أخرين من الاندلس , ودراسة التطورات التاريخية لرمزية المكان في الشعر الاندلسي

3-تضمين الدراسات الأدبية والنقدية لرمزية المكان في الشعر الاندلسي , في المناهج الدراسية

4-تنظيم ندوات ومؤتمرات حول رمزية المكان في الشعر الأندلسي , لتبادل الأفكار والرؤى بين الباحثين والمهتمين

5-تحليل النصوص الشعرية بأستخدام منهجية علمية , لاستخلاص الدلالات الثقافية والتاريخية لرمزية المكان

6-الاستفادة من الدرسات السابقة حول رمزية المكان في الشعر العربي والشعر الأندلسي في فترات زمنية مختلفة .

الهوامش

1- مقاله حول أجمل ماقاله شعراء الأندلس في رثاء مدينة , تاريخ 2024م

وانظر : أحمد الحمصي هو كاتب ومذيع تلفزيوني وإذاعي عراقي , حاصل على ماجستير في اللسانيات , ومقرئ القراءات العشر . يعمل أيضا مدرب إعلامي , ومن أبرز أعماله كتاب "غربة الراعي ",

ولد الحمصي في العراق , ودرس في مدارسها , ثم أنتقل الى سوريا والكويت للعمل في الإعلام , وله العديد من المؤلفات في مجال الإعلام واللغة العربية .

2- سقوط المدينة في الشعر الاندلسي , في القرن الخامس الهجري , التحول والهزيمة , 2013م

أنظر : بشير أعبيد كاتب ومؤلف عراقي , له العديد من المؤلفات في القصة القصيرة والنقد الأدبي والكتابة للطفل , من أبرز أعماله "حياتي في دائرة الضوء " يعتبر بشير اعبيد من مؤسسي الجمعية الوطنية الثقافية "الجاحظية "وعضو في اتحاد الكتاب الجزائريين , له مساهمات في العديد من الصحف والمجلات , ولايزال نشطا في المجال الأدبي .

3- ديوان أبوالبقاءالرندي هو مجموعة من القصائد الشعرية التي كتبها الشاعر الأندلسي

انظر : صالح بن يزيد بن موسى بنأبي القاسم بن على بن شريف , أبوالحسن , المعروف بأبي الطيب وأبي البقاء الرندي

ولد نحو 601 هجري / وتوفي سنة 684 هجري , ولد في مدينة رندة , واشتهر بعلمه في الحساب والفرائض , تنقل في مدن الاندلس , ومن أشهر كتبه " الوافي في علم القوافي "

4- كتاب نفاضة الجراب في علالة ا"لإغتراب ,

انظر : لسان الدين الخطيب هو شاعر وكاتب فقيه وطبيب , ولد في لوشة عام 731هجري وتوفي في فاس عام 776 , وقد ترك آثار عديدة في الآدب والتاريخ , ومن مأبرز مؤلفاته الإحاطة في أخبار غرناطة

.

المصادر
1- الرندي , أبوالبقاء , (ديوان أبو البقاء الرندي)
2- عثمان , اعتدال , جماليات المكان , 1980 , دار الشؤون الثقافية بغداد
3- جينيث , جيرار , 2002, الفضاء الروائي
4- جينيث , جيرار , , خطاب الحكاية
5- يقطين , سعيد , الكلام والخبر , 1997 ,
6- عبد السلام , فاتح , 1999. , تقنياته وعلاقته السردية , الطبعه 1 , بيروت
7- الداية , 2009 , في الشعر الاندلسي
8- ديوان أبن خفاجة , ترجمة عمر فاروق الطباع
9- الخطيب , لسان الدين , نفاضة الجراب في علالة الأغتراب , 731 = 776 هجري
المراجع
1- الحمصي , أحمد , 2025 , اجمل ماقيل في رثاء بلدان الاندلس
2- فضل , صلاح , 1998 , بلاغة الخطاب وعلم النص , الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ,
3- أبوذيب , كمال , ينظر في المجلسيات والمقامات , 1996 , مجلة فصول